(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 24-25 نيسان 2024 /القسم الثاني/ محور علوم القرآن ومحور اللغة العربية ومحوراللغة الفارسية,
الصفحات 453–462

التلمذة وأثرها في مناهج التأليف النحوي

أ.م.د. محمد شمخي جبر[1]*

[1] كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة/ أقسام ذي قار، العراق

الملخص

فإنَّ هذا البحث يهتم بدراسة التلمذة وأثرها في مناهج التأليف النحوي، ويبين مدى تأثر اللاحق بالسابق، والدراسة في مبحثين يسبقهما مقدمة وتمهيد، يعرض الباحث في التمهيد المعنى اللغوي والاصطلاحي للتلمذة والأثر، وفي المبحث الأول الذي وسم بـ (منهجية كتاب سيبويه) يبين الباحث ملامح منهجية الكتاب (اسمه، مقدمته، شواهده، أبوابه)، وجاء المبحث الثاني بعنوان (أثر التلمذة في مناهج التأليف)؛ إذ بين الباحث أثر الخليل في كتاب سيبويه، وأثر سيبويه في كتاب المقتضب للمبرد، وانتهى البحث بخاتمة فيها أهم النتائج، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث .

الكلمات المفتاحية: التلمذة، مناهج التأليف، التأليف النحوي.

Apprenticeship and its impact on grammatical composition curricula

Asst.Professor Dr. Mohammed shamkhi jebur[1*]

[1] *College of Imam Al-Kadhim Islamic Sciences University/Departments Dhi Qar, Iraq*

Abstract:

This research is concerned with studying apprenticeship and its impact on grammatical composition curricula, and shows the extent to which the later is influenced by the preceding. The study is in two sections preceded by an introduction and a preface. In the introduction, the researcher presents the linguistic and terminological meaning of apprenticeship and its impact, and in the first section, which Tagged with (Methodology of the Book of Sibawayh), the researcher explains the features of the book's methodology (its name, introduction, evidence, and sections), and the second section was entitled (The Impact of Apprenticeship on Writing Methods); The researcher explained the impact of Al-Khalil in the book of Sibawayh, and the impact of Sibawayh in the book Al-Muqtadib by Al-Mubarrad, and the research ended with a conclusion containing the most important results, then a list of sources and references that the researcher relied on.

Keywords: Apprenticeship, composition methods, grammatical composition.

* **Email address: dhiqar.alkadhum-col.edu.iq**

المقدمة:

الحمد لله الذي لا يحمد سواه، ولا يرتجى بفضلٍ غيره، أحمده على كل نعمة، وأسأله كلَّ خير، وأصلي وأسلم على خير خلقه أجمعين، محمد الرسول الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن أصحابه المنتجبين، ومن سار على هديه إلى يوم الدين .

أمّا بعد

فإنَّ هذا البحث يهتم بدراسة التلمذة وأثرها في مناهج التأليف النحوي، ويبين مدى تأثر اللاحق بالسابق، والدراسة في مبحثين يسبقهما مقدمة وتمهيد، يعرض الباحث في التمهيد المعنى اللغوي والاصطلاحي للتلمذة والأثر، وفي المبحث الأول الذي وسم بـ (منهجية كتاب سيبويه) يبين الباحث ملامح منهجية الكتاب (اسمه، مقدمته، شواهده، أبوابه)، وجاء المبحث الثاني بعنوان (أثر التلمذة في مناهج التأليف)؛ إذ بين الباحث أثر الخليل في كتاب سيبويه، وأثر سيبويه في كتاب المقتضب للمبرد، وانتهى البحث بخاتمة فيها أهم النتائج، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث .

التمهيد:

أولاً: الأثر في اللغة:

الأثر في اللغة يعني بَقِيَّةُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ آثَارٌ وأُثور. وَخَرَجْتُ فِي إِثْره وَفِي أَثَره أَي بَعْدَهُ. وأُتَتَرْتُه وتَأَثَّرْته: تَتَبَّعْتُ أَثره، والأَثر، بِالتَّحْرِيكِ: مَا بَقِيَ مِنْ رَسْمِ الشَّيْءِ. والتأْثير: إِبْقاءُ الأَثر فِي الشَّيْءِ. وأَثَّرَ فِي الشَّيْءِ: تَرَكَ فِيهِ أَثراً[1]، وقيل إنَّ ((الْهَمْزَةُ وَالثَّاءُ وَالرَّاءُ، لَهُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: تَقْدِيمُ الشَّيْءِ، وَذِكْرُ الشَّيْءِ، وَرَسْمُ الشَّيْءِ الْبَاقِي... قَالَ الْخَلِيلُ: وَالْأَثَرُ بَقِيَّةُ مَا يُرَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا لَا يُرَى بَعْدَ أَنْ تَبْقَى فِيهِ عَلَقَةٌ. والْأَثَارُ الْأَثَرُ، كَالْفَلَاحِ وَالْفَلَحِ، وَالسَّدَادِ وَالسَّدَدِ. وقَالَ: أَثَرُ السَّيْفِ ضَرْبَتُهُ... وقَالَ: وَالْأَثَرُ الِاسْتِقْفَاءُ وَالِاتِّبَاعُ، وَفِيهِ لُغَتَانِ أَثَرَ وَإِثْر))[2].

ثانياً: الأثر في الاصطلاح

ذكرت المعجمات الاصطلاحية أنَّ للأثر ثلاثة معان هي: الأول بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني: بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى الجزء[3]، وقيل إنَّ الأثر هو حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة، وأثرت الحديث نقلته[4] .

ومما سبق نلحظ أنَّ المعنى الاصطلاحي لمادة (أثر) تقترب كثيراً من المعنى اللغوي؛ إذ كلاهما أي (المعنى اللغوي والاصطلاحي) يدور حول (بقية الشيء، أو ما يترتب على الشيء، أو العلامة التي هي نتيجة عمل معين .

ثالثاً: التلمذة في اللغة

((تلمذ: التلاميذ: الخدم والأتباع واحدهم تلميذ))[5]، وجاء في معجم الوسيط ((التلميذ خادم الأستاذ من أهل العلم أو الفن أو الحرفة، وطالب العلم، وخصه أهل العصر بالطالب الصغير (ج) تلاميذ وتلامذة))[6]، يذكر محمد العدناني في معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة أنّ تتلمذ الطالب فلان على يد الأستاذ فلان، والصواب أن نقول (تلمذ الطالب للأستاذ)، ويخطئون من يجمع التلميذ على تلامذة؛ أذ يقولون إنَّ الصواب هو التلاميذ، وهم الخدم والأتباع[7]، والتلام لفظ أعجمي معرب ومعناه الصاغة، أو غلمان الصاغة، وهم التلاميذ[8]، ويرى صاحب القاموس إنّ تلام: التلاميذ حذفت ذاله[9]، ووزن تلميذ (فعليل) وفعله فعل متصرف هو (تلمذه) كدحرجه، بمعنى خدمه، يتلمذه كيدحرجه، تلمذة وتلماذا، كدحرجة ودحراجا،

فهو متلمذ كمدحرج بمعنى خادم، وذاك متلمذ أي جعل خادما، وإطلاق التلميذ على المتعلم صنعة أو قراءة، لأنه في الغالب يخدم أستاذه، والتلميذ يجمع على تلاميذ، فإن فعليلا يجمع على فعاليل، كبرطيل وبراطيل، وعفريت وعفاريت، وقنديل وقناديل، وأما قولهم في جمعه "تلامذة" فعلى توهم أنه اسم أعجمي، والتلام أعجمي معرب، قيل هم الصاغة، وقيل غلمان الصاغة، وقيل هم التلاميذ[10] .

رابعاً: التلمذة في الاصطلاح

التلميذ هو المتعلم والخادم، وعن بعضهم هو الشخص الذي يسلم نفسه لمعلم ليعلمه صنعته، سواء كانت علماً، أو غيره، فيخدمه مدة حتى يتعلمها منه[11]، والتلميذ صبي يتعلم صنعة أو حرفة، وما زال تلميذا في ورشة النجارة[12] .

ومما سبق يتضح المعنى في التلمذة؛ إذ تعني التعلم عند صاحب الصنعة حتى صح أن يسمى بالخادم؛ لما فيها من متابعة للسيد في جميع أفعاله وأقواله، ويأتي معنى التلميذ بأنّه الشخص الذي سلم نفسه إلى سيده، أو شيخه، أو معلمه، لكن هذا التسليم من أجل منفعة معينة .

المبحث الأول

منهجية كتاب سيبويه

كتاب سيبويه

يعد كتاب سيبويه أول كتاب جامع شامل لعلم النحو في أصوله، وفروعه، وقواعده، وضوابطه، وتخريجاته، ومصلحاته، وهو أول كتاب نجد فيه شيئاً كثيراً من علوم شتى ولا سيما علم الصرف .

تتميز مادته العلمية بأنّها مادة موضوعية وضعت بشكل متقن ومستفيض، وهذا الكتاب هو ثمرة جهود متتابعة ومتلاحمة ومتلازمة، ابتدأت بعد منتصف القرن الأول الهجري؛ حيث أبو الأسود الدؤلي مروراً بشيوخ سيبويه وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، أستاذ سيبويه، وملهمه الأول، وانتهاء (بالكتاب) الذي يجد القارئ له باستواء هذا العلم ونضجه، وتكامله، بعد أن أخذ سيبويه جهود العلماء وصنعتهم من قبله، فخرج بهذا الكتاب الذي هو في غاية الدقة، والصحة، والشمول؛ إذ جاء هذا الكتاب بملامح منهجية كثيرة سيذكر الباحث بعضاً منها، ومن ثمَّ يبين مدى تأثر تلاميذ سيبويه بمنهجه وتأليف كتابه .

ملامح منهجية كتاب سيبويه

ليس غريباً أن يقول أحد إنّ سيبويه في كتابه قد تبّت أركان النظرية النحوية العربية، ابتداء من المصطلحات، مرورا بالنظريات والأصول وانتهاءً بالفروع والضوابط، ولعل ذلك بسبب التحليل والتفصيل للمسائل النحوية، والصرفية، والصوتية التي جاء بها الكتاب، وسيبين الباحث أبرز الملامح المنهجية التي جاءت في هذا الكتاب .

أولاً: عرض المادة العلمية

جمع سيبويه في كتابه من أقوال من تقدمه من العلماء، كأبي الخطاب (الأخفش الكبير)، والخليل، ويونس، وعيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، وغيرهم في علمي النحو والصرف، وقد كان أكثر من نقل عنه هو الخليل بن أحمد الفراهيدي[13] .

قسم سيبويه مادة كتابه إلى قسمين، استوفى في القسم الأول المادة النحوية، وجعل القسم الثاني مقتصراً على المادة الصرفية والصوتية، أضف إلى ذلك أنَّ الكتاب لا يخلو من موضوعات تخص البلاغة، والقراءات القرآنية، والضرورات الشعرية، واللهجات .

والقارئ لكتاب سيبويه يجد أنَّه في كثير من الأحيان يعتمد على معايير صرفية ومعجمية ودلالية؛ لعرض قضايا نحوية عامة .

ثانياً: اسم الكتاب

الراجح أنّ سيبويه لم يضع اسما لكتابه، ولعل السبب في ذلك غامض، أو لحكمة اقتضتها المؤلف؛ إذ لو كان له اسما لما وصلت شهرته إلى هذا الحد، وقد يكون السبب في عدم التسمية؛ أبوابه الشاملة للنحو، والصرف، والصوت، فإي اسم يمكن أن يحيط بكل هذه المباحث ؟

وكانت تسمية الكتب آنذاك أمراً متعارفا عليه، فالخليل سمى كتابه (العين)، والأخفش (سعيد بن مسعدة) سمى كتابه الاشتقاق والمقاييس، وعيسى بن عمر يسمي الإيضاح والإكمال[14]، ولعل السبب في عدم التسمية هو إنَّ سيبويه لم يكمل كتابه، وكانت هناك بقية وعودة إليه، وهذا ما يرجحه الباحث، والدليل على ذلك أنَّه لم يقرأه على أحد، ولم يقرأه عليه أحد[15] .

ثالثاً: مقدمة الكتاب

زعم بعض العلماء والدارسين قدماء ومحدثين أنَّ سيبويه مثلما لم يضع لكتابه اسما، لم يضع له مقدمة أيضاً، وهذا أحد أوجه الخلل التي سجلت على الكتاب؛ إذ ذهب حاجي خليفة ((إنَّ الكتاب ليس فيه ترتيب، ولا خطبة، ولا خاتمة))[16]، لكنَّ هذا الرأي يخالف ما ذهب إليه عدد من الباحثين قديما وحديثا، فالكتاب بحسب رأيهم له مقدمة، وهذه المقدمة تتمثل بالأبواب السبعة التي ابتدأ بها سيبويه كتابه، وهذه الأبواب هي: باب (علم ما الكلم من العربية)، وهذا الباب يمثل مقياساً صرفياً، ونحوياً، ودلالياً، لأقسام الكلم العربي، ثم باب (مجاري أواخر الكلم من العربية)، وباب (المسند والمسند إليه)، وباب (اللفظ للمعاني) الذي قدم فيه سيبويه لما يقع بين الكلمات وهي منتظمة داخل السياق المعين من اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى، أو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، أو اختلاف فيهما جميعا، ثم باب (ما يكون في اللفظ من الإعراض) الذي قدم فيه لما يعتري اللفظ من أسباب الذكر والحذف، وهو باب واسع في العربية، ثم باب (الاستقامة من الكلام والإحالة)، وهو فيما يلحق من حَسَن، أو قبيح، أو استقامة، أو استحالة للتراكيب، والجمل العربية في ضوء القواعد والقوانين المقررة، ثم باب (ما يحتمل من الشعر) من الضرورات التي تباح في النصوص الشعرية دون غيرها من ضروب القول[17] .

رابعاً: شواهده:

عنى سيبويه في كتابه بالشواهد؛ لتثبيت الأحكام والإتيان بها من القرآن الكريم، ونثر العرب وشعرهم، ولم يجنح إلى الاستدلال بالحديث النبوي الشريف؛ لانعدام الثقة في نقل الحديث بلفظه الوارد عن الرسول محمد ﷺ؛ إذ جوز العلماء نقله

بالمعنى، فالقرآن الكريم بلغت شواهده في الكتاب ما يربى على ثلثمائة آية، أما الشواهد النثرية فقد أكثر منها سيبويه في استشهاداته؛ إذ أدخل فيها الأمثال السائرة التي يسمعها من العلماء الذين يتلقى عنهم، أو يأخذها مشافهة من العربي، أما الشواهد الشعرية فهي الأكثر في كتابه؛ إذ بلغت ألفا وخمسين بيتا شعريا، إلاّ أنّ سيبويه لم يعط اهتماما في نسبة البيت المذكور إلى قائله في كثير من المواطن[18] .

خامساً: ترتيب الأبواب:

كان منهج سيبويه في ترتيب أبواب كتابه يرتكز على فكرة العامل أولاً وأخيراً؛ إذ نظر إلى الجملة حين تكلم عن المسند والمسند إليه، فإذا هي فعلية واسمية، فتكلم عن الفعل المذكور وما حمل عليه من العمل، وعني بذلك المرفوع في حالة المماثلة من الفاعل، ونائب الفاعل، واسم كان وأخواتها، والمرفوع في أصله من منصوبات (ظن وأخواتها)، ثم تكلم عن الفعل المحذوف، والفعل المذكور، وأنواع ما ينصبان من المفعولين، وعن استعمالات المصدر وما حمل عليه، آخذا على عادته من التتبع والاستقراء، ثم تكلم عن عامل الجر وطبق إعماله على التوابع، ثم تكلم عن الابتداء ونواسخه، واستطرد إلى الأدوات التي تجري على شبه منها في العمل، وهو في هذا كل يجزئ الموضوعات المتشعبة ويفرد كل جزء بباب[19]

يعد سيبويه من التلاميذ الأمناء الذين امتازوا بأمانتهم العلمية في نقل آراء شيخه الخليل، فعند تصفح كتابه نجد أغلب صفحات الكتاب يذكر فيها اسم الخليل في تقعيده قاعدة، أو تعليل مسألة، أو تبيين رأيه في قراءة قرآنية، وقد بلغ نقله عن أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي اثنتين وعشرين وخمسمائة مرة[20]؛ لذا عُدّ الخليل المصدر الأول من مصادر كتاب سيبويه، فقد أخذ عنه جلَّ فكره النحوي، بالقول حيناً، وبالمعنى حينا آخر، ونهل منه ما شاء أن ينهل حتى قيل إنَّ سيبويه أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، ألف كتابه الذي سماه قرآن النحو، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل[21]، أو بقوله (وسألته)، وغيرها من العبارات .

المبحث الثاني

أثر التلمذة في مناهج التأليف

أولاً: أثر الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب سيبويه:

مما لا شك فيه أنَّ الأسس التي أرساها الخليل في كتاب سيبويه أرست دعائم النحو العربي إلى يومنا هذا، فضلاً عما أضافه سيبويه عليها، فجعلها مناراً للدارسين، والمتأمل في كتاب سيبويه يجد أثر التلمذة واضحا جلياً، ويجد أيضا جهد الخليل وعلمه بيناً في المسائل التي وقف عليها سيبويه سائلاً شيخه وأستاذه، مستفيدا من علمه، صاغيا إليه، مشيدا به، واثقاً في عربيته؛ إذ قال في عباراته ((سألت الخليل، وسألته، وزعم الخليل، وروى الخليل، وحدثنا الخليل))[22]

وقد أحصى النجدي عدد مرات ما ورد فيها ذكر الخليل صراحة في كتاب سيبويه فوجدها اثنتين وعشرين وخمسائة مرة[23]، وهو عدد كبير يؤكد أثر الخليل في تلميذه سيبويه .

ثانياً: أثر سيبويه في كتاب المقتضب للمبرد:

قبل البدء بمعرفة أثر سيبويه في كتاب المقتضب للمبرد، لابدَّ لنا من وقفة موجزة أمام المبرد وكتابه المقتضب، ومن ثم نبين مواطن الأثر والتأثر .

التعريف بالمبرد:

هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن أسلم، وهو ثمالة بن أحجن بن نصر بن الأزد بن الغوث[24]، ولقب بالمبرد (بكسر الراء)، أي المثبت للحق، ولما صنف المازني كتاب الألف واللام، سأل المبرد عن دقيقه، وعويصه، فأجابه بأحسن جواب؛ إذ قال له: قم فأنت المبرد، أي المثبت للحق، إلاَّ أن الكوفيين غيروا ففتحوا الراء[25]، وكان المبرد فصيحاً، بليغاً، صاحب نوادر وظرافة، وكان جميلاً

التعريف بكتاب المقتضب:

هو أول كتاب عالج مسائل النحو والصرف بالأسلوب الواضح، والعبارة المبسطة، ألفه المبرد في زمن شيخوخته، بعد أن اكتمل نضجه العقلي، وعمق تفكيره، واستوت ثقافته؛ لذا كان من أنفس مؤلفاته، وأنضج ثمراته .

ما من شك في أنّ كتاب المقتضب أقدم وأضخم ما وصل إلينا من كتب النحو والصرف بعد كتاب سيبويه، وقد نال هذا الكتاب عناية بالغة من العلماء، فالكثير منهم كان ينقل منه آراء المبرد المختلفة، ومنهم من شرحه، وأوضح مسائله وبين مشكلاته[26]، إلاَّ أنّ مع هذه القيمة العليا، والمنزلة السامية للمقتضب، لم يلق تلك العناية التي لقيها كتاب سيبويه، ولم يثر تلك الضجة التي أثارها سابقه؛ إذ كان كتاب سيبويه محط سباق بين العلماء قديما وحديثا .

أثر كتاب سيبويه في المقتضب:

ذكرنا أن المقتضب هو أول كتاب بعد كتاب سيبويه، والمبرد يعد في مجال التأليف النحوي هو ثاني شخصية بعد سيبويه، فقد كان بعد سيبويه مؤلفون ومحللون بيد أنَّ المبرد كان أبرزهم، وكتابه المقتضب يمثل نقلة وإن كانت متواضعة إلاّ أنها تعطي المبرد صفة الشخصية الثانية بعد سيبويه في مجال التأليف النحوي[27] .

على الرغم من أنَّ أثر كتاب سيبويه لا يزال قائما في كتاب المقتضب إلا أنه يتقدم في الأبواب النحوية إلى الأمام، فعنوانات الأبواب أصبحت أكثر اختصارا، وأكثر تحديدا للمصطلحات، ولعل الوقوف على بعض أحكامه النحوية في أبوابه التي عقدها في كتابه يبين مدى التأثر في كتاب سيبويه، ففي باب (تفسير وجوه العربية وإعراب الأسماء والأفعال)[28]، نجد المبرد لا يزال يدور في فلك سيبويه حين يقول: ((فالكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، لا يخلو الكلام عربيا كان أو أعجميا من هذه الثلاثة))[29]، وما يدعو للملاحظة هنا رأي المبرد أن هذه التقسيمات تشمل كلام العربي والأعجمي، الأمر الذي يبين ثقافة المبرد الواسعة باللغات الأخرى غير العربية .

أما تعريفه للأسماء فيقول: ((أما الأسماء فما كان واقعاً على معنى نحو: رجل، وفرس، وزيد، وعمرو))[30]، وسيبويه قد مثل للأسماء بقوله: ((فالاسم رجل، وفرس، وحائط))[31]، وهذا التشابه بالأمثلة يدل على تأثر المبرد بشيخه سيبويه وكتابه، إلاّ أنَ المبرد يأخذ شكلاً يخالف سيبويه في بعض المواطن، ففي باب حروف العطف بمعانيها، نجد سيبويه يتحدث عن حروف الإشراك، ويذهب المبرد فيه إلى المعنى نفسه فيقول: ((ومنها الواو ومعناها إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول، وليس فيها دليل على أيها كان أولاً نحو قولك: جاءني زيدٌ وعمرو))[32]، فالمصطلحات عند المبرد أصبحت أكثر تحديداً، أمّا تناوله للشواهد النحوية، وإن تأثر بسالفه إلاّ أنه أصبح يعول على الأمثلة التي تناقش وتحلل لتعليل الحكم النحوي، ومن ثم يأتي بما يتسق مع الأمثلة من شواهد، ف ((من اليسير جدا على قارئ هذا الكتاب أن يلاحظ أنّ مؤلفه قد تقيد إلى درجة كبيرة بما جاء في كتاب سيبويه من مادة لغوية، ومن أحكام وآراء تتصل بهذه المادة، ومن أمثلة وشواهد من نصوص اللغة

التي استعملها سيبويه للتطبيق والاستدلال، كما أنّه من اليسير جدا عليه أن يدرك طائفة من الفروق بين الكتابين توضح مع بساطتها إلى حد ما يمكن أن يكون قد جد على الدرس النحوي بعد سيبويه نتيجة للظروف الزمانية والثقافية، والعقلية))[33]

.

أمَّا أبواب المقتضب فتميزت بمميزات منها:

1) *الإيجاز*: حيث عمد إلى اختصار كثير من الأبواب، فلم تطل عنده العنوانات[34]، فعلى سبيل المثال لا الحصر عبر سيبويه عن دخول الألف واللام على الحال بقوله: ((هذا باب ما ينتصب فيه الصفة لأنه حال وقع فيه الألف واللام، شبهوه بما يشبه من الأسماء بالمصادر نحو قولك: فاه إلى فيَّ، وليس بالفاعل ولا بالمفعول، فكما شبهوا هذا بقولك: عوده على بدئه، كذلك شبهوا الصفة بالمصدر، وشذَّ هذا كما شذت المصادر في بابها حيث كانت حالاً، وهي معرفة))[35]، وهو عنوان طويل قام المبرد باختصاره؛ إذ قال: ((هذا باب ما يكون حالاً وفيه الألف واللام على خلاف ما تجري الحال لعلة دخلت))[36]، فعنوان المبرد في المقتضب يمثل نقلة لتراجم الأبواب؛ إذ يلحظ فيه شيئاً من الإيجاز والاختصار، وإن بدا طويلاً بعض الشيء .

2) *وضوح عبارات أبواب كتاب المقتضب*

تتميز عبارات أبواب كتاب المقتضب بالوضوح، ولعل السبب في ذلك استقراء المصطلحات والسعة في تداولها بين النحاة اللاحقين، الأمر الذي شكل فهما عاما مدركا لها، وعلى ذلك نجد أغلب هذه الأبواب تتميز بوضوح عباراتها نحو: (هذا باب الفاعل، هذا باب حروف العطف ومعانيها، هذا باب مسائل الفاعل والمفعول) وغير ذلك من الأبواب التي تتميز بوضوحها

.

3) *الاتجاه التعليمي*

لا يزال المبرد متأثراً بالكتاب في تصديره تراجم الأبواب باسم الإشارة (هذا باب)، وهذه العبارة تدل على المنهج التعليمي الذي سلكه سيبويه في كتابه، وسار على نهجه المبرد في مقتضبه، ويدل على ذلك أنه لا يزال على طريقة سيبويه في دمج أبواب النحو والصرف، والاهتمام بتعليم الناس العربية نحوا وصرفا ولغة وغيرها من أساليب العرب في الكلام .

شواهد المقتضب

المتأمل في كتاب (المقتضب) للمبرد يلحظ أنّ شواهده متنوعة؛ إذ أخذ من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ومن كلام العرب، ويلحظ أيضاً الكثير من الشواهد التي صاغها بنفسه .

شواهده القرآنية تجاوزت خمسمائة آية، في حين شواهد سيبويه القرآنية بلغت ثلاثمائة وثلاث وسبعين آية، أما استشهاده بالحديث النبوي الشريف، فقد استشهد بحديث نبوي شريف واحد هو (ليس في الخضروات صدقة)[37]، وهو بذلك يسير على خطى سيبويه بعدم استشهاده بالحديث النبوي الشريف، فسيبويه لم يسأل شيخه الخليل عن توجيه نحوي لحديث من الأحاديث النبوية الشريفة، بل كان يسأله عن آية، أو بيت شعري، أو عن قول من أقوال العرب[38] .

أمّا الشواهد الشعرية، فقد اعتمد المبرد على الشعر اعتمادا كبيراً في كتابه المقتضب؛ إذ بلغت شواهده خمسمائة ووحدا وخمسين شاهدا شعرياً، وقد أخذ من شواهد سيبويه ثلثمائة وثمانين شاهدا، وهو بهذا العدد يجعل لشواهد سيبويه قدرا كبيرا من الأهمية؛ إذ تجاوزت نصف شواهده، أما شواهده النثرية، فقد استعان المبرد بكلام العرب المنثور في دعم قواعده

النحوية، ومن بين الشواهد التي وردت في كتاب المقتضب والمأخوذ من كتاب سيبويه قوله: (ومن كلام العرب إنّه لمنحار بوائكها)[39] .

المصطلح النحوي في كتاب المقتضب:

المتصفح لكتاب المقتضب يجد أنَّ المبرد لم يخرج كثيرا على مصطلحات كتاب سيبويه، بل يرى أن المبرد قد تقيد تماما بمصطلح سيبويه حتى كاد يكون نسخة ثانية في كثير من المسائل، فلا نراه إلاّ واقفاً عند حد اختصار عبارة سيبويه حينا، مكتفيا بمثال واحد من أمثلة سيبويه حينا آخر[40]، وسيبين الباحث عدداً من الأمثلة من مصطلحات الكتابين التي تؤكد وتبين مدى التشابه بيم مصطلحات الكتاب والمقتضب .

في باب المسند والمسند إليه قال سيبويه ((باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا[41]، وقال المبرد ((هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يستغني كل واحد من صاحبه))[42]، فما النص الثاني إلاَّ نسخة للنص الأول .

وفي باب الفعل المتعدي يذكر سيبويه ((باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول))[43]، وفي هذا يقول المبرد ((هذا باب الفعل الذي يتعدى الفاعل إلى المفعول))[44]، ولعلّ في مصطلح المبرد وضوحا أكثر مما في مصطلح سيبويه على الرغم من تشابه المصطلحات .

ونائب الفاعل عبر عنه سيبويه بقوله: ((باب المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول)) ويذكر بعض الأمثلة التي تخص نائب الفاعل، فيذكر(كُسِيَ عبدُ الله الثوبَ)، (أُعطيَ عبدُ الله المالَ)[45]، أمَّا المبرد فقال عن هذا الباب ((هذا باب المفعول الذي لا يذكر فاعله، وهو رفع نحو قولك ضرب زيد وظلم عبد الله))[46] .

مع هذا التشابه حتى بالأمثلة التي ساقها المبرد إلاّ أنّه في كثير من الأبواب نجده قد خرج على أسلوب شيخه سيبويه وقام باختصار المصلحات، وهذا لا يعني أنه لم يكن متأثرا بسيبويه، بل العكس كان متأثرا إلى درجة كبيرة؛ إذ يعد نفسه الحارس الأمين على النحو البصري المتمثل بكتاب سيبويه، فقد تابعه في أغلب المصطلحات، وعمل جاهداً ألاّ يغير منها شيئاً .

ومما سبق يتبين مدى تأثر المبرد في كتابه المقتضب بشيخه سيبويه، فقد وجد الباحث تشابه كبيرا في ترتيب الأبواب والمصطلحات، وفي الشواهد بين الكتابين، وما هذا التشابه إلا دليل على تأثر المبرد بشيخه سيبويه، وإن كان المبرد في بعض المواطن أكثر وضوحا، وأقل حدة من أستاذه، ولعلَّ هذا الأمر يعود إلى عامل الزمن؛ إذ يقتضي الفارق الزمني التطور في الدرس النحوي، فالمتأمل في كتاب المقتضب يلحظ سهولة أسلوبه، ووضوح عباراته، وفي هذا ذكر محقق كتاب المقتضب الدكتور عبد الخالق على براعة المبرد ودقته في عرض المادة العلمية، وعزا ذلك إلى كون المبرد أديبا، والأديب من شأنه أن يصقل النفوس ويهذب طباعها .

الخاتمة

اهتم البحث بدراسة التلمذة وأثرها في مناهج التأليف النحوي، وقد خلصت الدراسة بنتائج موجزة أهمها:

- ترابط المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظتي (أثر، وتلمذ) .
- سيبويه كان تلميذا باراً لشيخه الخليل، فقد نقل عنه الكثير وذكر اسمه صراحة .
- أثر التلمذة واضح جلي في كتاب المقتضب؛ إذ كانت أغلب الأبواب والمصطلحات والشواهد هي مستنسخة من آراء شيخه سيبويه .

الهوامش:

([1]) ينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (أثر)، 6/4 .
([2]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (أثر) 53/1-54 .
([3]) ينظر: كتاب التعريفات، الجرجاني: 9 .
([4]) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: 38 .
([5]) لسان العرب، مادة (تلمذ) 478/3 .
([6]) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة (تلمذ): 87 .
([7]) ينظر: معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، محمد العدناني: 99 .
([8]) ينظر: المعرب في الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور الجواليقي: 50 .
([9]) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (تلم): 1082 .
([10]) ينظر: نوادر المخطوطات، عبد السلام هارون: 223-224 .
([11]) ينظر: أقرب الموارد في فصح العربية الشوارد، سعيد الخوري: 79/1 .
([12]) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر: 299/1 .
([13]) ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي: 48 .
([14]) ينظر: سيبويه إمام النحاة، علي النجدي: 128 .
([15]) سيبويه إمام النحاة: 129 .
([16]) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة: 1428/2 .
([17]) ينظر: الشرح المعاصر لكتاب سيبويه، هادي نهر: 10/1 .
([18]) ينظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: 86 .
([19]) ينظر: سيبويه إمام النحاة: 184 .
([20]) سيبويه إمام النحاة: 89 .
([21]) مراتب النحويين، أبو الطيب اللغوي: 65 .
([22]) الكتاب، سيبويه، 48/2-60 .
([23]) ينظر: سيبويه إمام النحاة: 93 .
([24]) ينظر: طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي: 101 .
([25]) ينظر: بغية الوعاء في بقات اللغويين والنحاة، السيوطي، 269/1 .
([26]) ينظر: كتاب المقتضب، المبرد: 81/1،75،70 .
([27]) النحو ومناهج التحليل والتأليف، شعبان عوض: 198 .
([28]) ينظر: المقتضب: 1/ 141 .
([29]) المصدر نفسه: 141/1 .
([30]) المصدر نفسه: 141/1 .
([31]) الكتاب: 12/1 .
([32]) المقتضب: 10/1 .
([33]) تطور الدرس النحوي، حسن عون: 67 .
([34]) المقتضب: مقدمة المحقق: 72/1 .
([35]) الكتاب: 397/1 .
([36]) المقتضب: 271/3 .
([37]) المقتضب: 215/2 .
([38]) كتاب الجمل في النحو المنسوب إلى الخليل، دراسة تحليلية، محمد إبراهيم: 123 .
([39]) الكتاب: 58/1 .
([40]) ينظر: الكتاب: 341/2، والمقتضب: 55/1 .
([41]) الكتاب: 23/1 .
([42]) المقتضب: 126/4 .
([43]) الكتاب: 14/1 .
([44]) المقتضب: 3/ 91 .

([45]) الكتاب: 41/1 .
([46]) المقتضب: 50/4 .

قائمة المصادر والمراجع

- أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد، سعيد الخوري، قم، لبنان، دت .
- بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية، لبنان، دت .
- تطور الدرس النحوي، حسن عون، قسم البحوث والدراسات، 1970م .
- التعريفات، علي محمد بن علي الشريف الجرجاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م .
- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1990م .
- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1979م .
- الشرح المعاصر لكتاب سيبويه، هادي نهر، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، 2014م .
- طبقات النحويين اللغويين، محمد عبد الحسن الزبيدي، ط2، دت .
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005م .
- كتاب الجمل في النحو المنسوب إلى الخليل، دراسة تحليلية، دط، دار المعارف، الإسكندرية، دت .
- الكتاب، سيبويه، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ط1، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م .
- لسان العرب، ابن منظور، ط3، دار صادر، بيروت، 1414ه .
- مراتب النحويين، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة .
- معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة، محمد العدناني، ط1، مكتبة لبنان، 1989م .
- المقتضب، محمد بن يزيد المبرد، عالم الكتاب، بيروت، دت .
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ط1، عالم الكتب، 2008م
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الفكر، 1979م .
- المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، أبو منصور الجواليقي، ط1، دار القلم، دمشق، 1990م .
- النحو العربي ومناهج التحليل والتأليف، شعبان عوض، دار طلاس، دمشق .
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد طنطاوي، ط2، دار المعارف، 1995م
- نوادر المخطوطات، عبد السلام هارون، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى، مصر، 1973م .